بين المناظرين

الحركة الاحمدية

بقلم سيد احمد فهمى

نشرت « المعرفة » الغراء ـ بعدد نوفمبر الماضى ـ مقالا بهذا العنوان لأحد القاديانيين حاول فيه أن يدافع عن مذهبه، ويعزوه إلى الديانة الاسلامية ، مدعياً أنه مستمد منها ، ومستخلص من روحها ومبادئها .

ولو كان الأمر كذلك ، أى لو كان هذا المذهب الجديد منطبقاً على مبادىء الدين الحنيف وموافقاً لروحه وتعاليمه ، فعلام كان النزاع ؟ .. ولماذا يلقاه المسلمون أينما ظهر بينهم بأشد مظاهر السخط والنفور ويحاربونه بكل مافيهم من قوة ؟ .

حقيقة الأمر أن هذا المذهب ، بل هذا الدين الجديد ، بعيد عن الاسلام بعد السماء عن الأرض ، ولا يمت إليه بأدنى صلة ، ونظرة واحدة إلى هذا الدين المستحدث وإلى المبادىء والتعاليم التى يقوم عليها كافية لاظهار مافيه من المنافاة لقواعد الاسلام ، والمناقضة لأصوله وعقائده المجمع عليها فى كل عصوره وبين مختلف طبقاته .

يدعى مؤسس هذه الحركة ، بل مثير غبار هذه الفتنة ، غلام أحمد القادياني (١) أنه نبي مرسل إلى كافة البشر ، وأنه ينزل عليه وحى سماوى وتعليم قرآنى ، ولكى يدعم هذه الدعوى ويجعل لها شيئاً من القيمة ، صبغها بصبغة إسلامية ، وادعى أنها شعبة من شعب الاسلام وأنها صفوة تعاليمه ، فهو مع كونه نبياً فان نبوته لم تخرج عن دائرة الشريعة الاسلامية ، بل هى مفسرة لها ومبينة لما فيها من الأسرار والحقائق التى تدور مع كل عصر ، وتوافق روح كل جيل من الناس ، ثم إن القرآن الذى ينزل عليه لا ينسخ تعاليم القرآن الكريم ، بل هو مؤيد له ومبين عليه وموضح لمعانيه التى ظلت غامضة ومقفلة من عهد ظهور الاسلام إلى أن انتهت إلى هذا الغلام أحمد الهندى القادياني ، فكان هو الذى وفق إلى حل رموزها وفك طلاسمها . ثم أورث ذلك أشياعه وخلفاءه من بعده حتى كان منهم ـ أيضاً ـ أنبياء ورسل .

---

(١) نسبة الى قاديان احدى بلاد الهند .

وكنا نود أن نأتى هنا على شىء من تاريخ هـذه الحركة وكيفية نشأتها والأغراض التى كونتها ولا زالت تتولى حمايتها ورعايتها ليكونوا على بينة من حقيقتها ، ولكن ذلك لايعنينا الآن بقدر مايعنينا مناقشة الدعوة فى حد ذاتها ، والنظر فى الأدلة والمناهج التى تقوم عليها .

معلوم من الدين بالضرورة أن النبى محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد صرح الكتاب الكريم بذلك مما لا يدع ريبة لمرتاب ، ولا أى مجال للتأويل ، فقال تعالى « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، كما جاءت بذلك السنة المطهرة فى مواضع أكثر من أن تعد ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى ، وإنه لانبى بعدى » وقال « إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه واجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » إلى غير ذلك مما لا داعى للاطالة فيه ، وما هو معلوم لكل مسلم ؛ وكانت هذه هى العقيدة التى أجمع عليها الصحابة ، فالتابعون ، فجميع المسلمين طبقة بعد طبقة إلى يومنا هذا ، وقد أجمعوا كلهم على أن من شذ عن هذه العقيدة ، وادعى النبوة لنفسه أو اعتقدها فى غيره فهو كافر بلا مراء .

فاذا ماواجهت طائفة القاديانيين بهذه النصوص الصريحة القاطعة ألفيت منهم مماحكة غريبة ، فتراهم يعمدون إلى تحريفها وتأويلها بعبارات لايقبلها العقل ولا يستسيغها المنطق والذوق ، يقولون : إن خاتم النبيين فى الآية والأحاديث ـ ليس معناه آخر النبيين ، بل تاج النبيين وحليتهم ! ... كما لو قلت : زيد خاتم العلماء ، فان معنى ذلك أن زيداً أعلاهم مكانة وأنه لهم بمثابة التاج والحلية ! ... وعلى هذا فليس مايمنع من ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم مادام مقام الخاتمية محفوظاً له ، لأن الذين يجيئون بعده يكونون مندرجين فى نبوته وداخلين تحت حيطتها ... ولا أدرى فى اى قاموس وجدوا هذه المعانى البديعة الرائعة !! ولا من أى مصدر جاءونا بتلك الطرف الجميلة والتعابير الرشيقة التى ما كنا لنعرفها من قبل ؟!

ومما يستندون عليه فى تأييد دعواهم النبوة قولهم : إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد وعد بظهور المسيح فى آخر الزمان ليجدد للناس أمر دينهم ، فذلك مما يؤخذ منه أنه سيظهر أنبياء بعده ، وينبنى عليه أن نور النبوة مازال سارياً فى الناس إلى أن تقوم الساعة ... وما دام أن عيسى عليه السلام قد مات بنص القرآن ، فلا يكون عيسى الذى بشرت به الأحاديث

هو عيسى بن مريم الذى كان فى بنى إسرائيل ، بل هو كل رجل تترقى فيه البشرية إلى أن تتصل بأفق النبوة ، وبعبارة أجلى هو غلام أحمد ، وكل من سار على شريعته ! .

أولا ترى مقدار ما فى هذا القول من المناقضة الواضحة والمغالطة الصريحة التى يصادمون بها نصوص الكتاب والسنة القاطعة ؟ . . . إنهم يصدقون البشارات التى جاءت على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسلمون بظهور عيسى ، ولكنهم فى الوقت نفسه ينقضونها ، ولا يسلمون بأن المراد بها عيسى بن مريم ، بل المراد بها عيسويتهم هم ، ولهم فى ذلك تأويلات وتلبيسات نذكرها على سبيل الفكاهة ، كمثل مايصدر عنهم من الأعاجيب .

يقولون : صحيح أن الأحاديث صرحت باسم عيسى المسيح بن مريم ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون ماتنطوى عليه هذه الاشارات من المعانى الجليلة ، فالمراد بمريم هى النفس البشرية فى طورها العادى الجبلى ، وعيسى معناه روح النبوة ، أى أن الانسان يكون أولا فى الحالة المريمية ، ثم لا يزال يتهذب ويترقى حتى تنبثق فيه الروح العيسوية التى هى كناية عن النبوة فيشرف على الملأ الأعلى ، وينزل عليه الوحى القرآنى لهداية الناس ـ الذين ما يزالون فى الطور المريمى ـ . وعلى هذا النحو ، بل على هذا الهذر يعتمدون فى ترويج دعوتهم ، ونشر تعاليمهم التى لا ندرى لها أولا من آخر ، والتى لا تعتمد على حجة معقولة ، ولا على كتاب ، ولا على منطق ، ولا على أى شىء إلا مجرد الدعوى ، وتعمد تحريف النصوص ومجانبة الحقائق الملموسة .

وإليك مثلا من مجادلاتهم ، وهو ماجاء على لسان حضرة « منير الحصنى أحمد » ناشر المقال الآنف الذكر ، لترى مبلغ مافى هذه الدعوة من صدق ، وانطباق على الشريعة الاسلامية التى يتحكمون بها .

فقد ذكر حضرته عن عيسى بن مريم أن الأحمديين يقولون : بموته حتف أنفه ، ولم يرفع بجسده العنصرى إلى السماء ، وهو لا يريد طبعاً ـ بقوله حتف أنفه ـ إلا أنه قد قتل على الصليب ، وذلك لينفى من أذهان الناس ـ بتاتاً ـ أنه رفع عليه السلام حياً ، وأنه سينزل هو بعينه فى الزمان والمكان الذى عينته الأحاديث النبوية الشريفة ، مع أن القرآن صريح فى أنه لم يصلب ولم يقتل . قال تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه » .

لكنهم يتورطون فى أمثال هذه المآزق ليقولوا : إنه مادام عيسى قد قتل فلن يعود ، ومادام الأمر كذلك ، فالذى يعود هو الأرواح العيسوية فى الأشباح المريمية ؛ وما مثلهم فى ذلك إلا كمثل الذى يحرق بيته ليوقد مصباحه .

ومما قاله فى بقاء الوحى : « إن الذى لايتكلم لايكون إلهاً » ؛ واستند إلى قول الله تعالى

« واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا » ، وذلك ليستنتج أن الله يجب أن يكون متكلماً دائماً أبداً ، وما دام الأمر كذلك ؛ فليس ما يمنع من نزول الوحي على غلام أحمد وأمثاله ... فهل ذلك هو معنى الآية الشريفة ، أم أن معنى الآية هو أن الله سبحانه وتعالى ينعى على بنى إسرائيل اتخاذهم صنماً أصم أبكم صنعوه بأيديهم وعبدوه مع أنه لاينفعهم ولا يضرهم ولا يهديهم سبيلا ؟ وهل إذا كان الله تعالى لاينزل وحيه على غلام أحمد يكون مثله مثل هذه ؟ . . . . استغفر الله ، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

أما عقيدة المسلمين فى أمر الوحى ، فهى أنه انقطع منذ انتقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الرفيق الأعلى ؛ لأن الدعوة الإلهية قد تمت ، والبلاغ السماوى بلغ كماله ، وتمت على الناس نعمة الاسلام ، ولم يبق سبيل بعد ذلك ؛ بل لا حاجة إلى نزول وحى جديد : هذا مايعتقده المسلمون مع إثباتهم صفة الكلام لله تعالى ، وأنها ذاتية له تليق بكماله ولا يتصور العقل انفكاكها عنه لحظة ؛ هذا مع مافهمه ، وما اعتقده جميع المسلمين من لدن أبى بكر وعمر إلى عصرنا هذا .

ومما جاء فى ذلك أنه عند موت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت أم أيمن بركة الحبشية تبكى بكاءاً مراً ، فدخل عليها أبو بكر وعمر وهى على هذه الحال فقالا لها : « يا أم أيمن مايبكيك ، فما عند الله خير لرسوله ؟ » ، فقالت : « إنى لأعلم أن ماعند الله خير لرسوله ، وإنما أبكى لانقطاع خبر السماء » ، فهيجتهما على البكاء فبكيا .

فأولئك هم : أبو بكر ، وعمر ، وأم أيمن ، وهم من أخص خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم المسلمون قاطبة يؤمنون بانقطاع الوحى ، ولم يدع أحد مطلقاً أنه أوحى إليه شىء ، فكيف يجرؤ مسلم فى قلبه ذرة من إيمان على أن يدعى بذلك ؛ وهم يسمعون وعيد الله تعالى فى قوله : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ، وماهو من عند الله ، فويل لهم مما كتبت أيديهم ، وويل لهم مما يكسبون » ، وكذلك الوعيد الذى جاء فى حق من قال أوحى إلى ، ولم يوح إليه شىء ، والذى قال : سأنزل مثل ما أنزل الله ، إلى غير ذلك مما كثر وروده فى القرآن .

ولكن ما الحيلة مع أولئك القوم الذى لايقفون عند نص ، ولا يعبأون بوعيد ، ولا يقيمون للحق وزناً ؟ . .

ولولا خشية الاطالة ، وضننا بصحف « المعرفة » الثمينة من أن تضيع فى أمثال هذه المناقشات العقيمة لجئنا على سائر أدلة هؤلاء القوم ـ وما هى بأدلة إنما هم يسمونها كذلك ـ

معقبين عليها بما يدفعها ، ولكننا معتقدون ان الحركة الاحمدية اهون واضعف من أن نأبه بها إلى هذا الحد ، فهى ـ ولله الحمد ـ تمشى وفى طيها موتها ، ولا نجد من يستمع إليها أو يلقى إليها بالا .

وإذا كان حضرة منير الحصنى أحمد وأعوانه يظنون أنهم يجدون لدعوتهم هذه فى مصر مناخاً طيباً ،وجواً صالحاً ،فانهم يكونون قد خدعوا أنفسهم وأساءوا الاختيار ، لأن مصر هى عرين الاسلام ، وملجؤه الأخير ، والمصريون أيقاظ ، لاتخفى عليهم خافية من أمثال هذه الدعاوى التى هى على اللسان دون أن تتطرق إلى الوجدان ،وحركة منبعثة عن مآرب وأغراض لا عن يقين وإيمان . أما إذا كانوا يريدون لها نجاحا ورواجاً ، فعليهم أن يبحثوا لها عن مواطن أخرى غير مصر ، كجاهل التبت أو أواسط إفريقيا أو جنوب أمريكا ، لأن الجو الاسلامى لايقبلها ، ولكنه يقتلها ويلاشيها ورحم الله أمرءاً عرف قدره والسلام ؟

سيد أحمد فهمى

ضحايا الحب

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٠٣]

الجمع صاح قائلا : تعال يا حضرة العمدة بالعجل ، لحسن مبروكة بنت ابويا عبدالله ولعت فى نفسها النار واحترقت . ساد الهرج والمرج واشتد الصخب وتعالى النحيب من كل جانب ، ولكن شيئاً واحداً تنبه الجميع إليه رغم الاضطراب السائد ؛ وما هذا إلا ضحكة صدرت عن فاهها السامع صوت نذير من بركان سيقذف حممه .

فقهقه غنيم ضاحكا وفكر الجميع أفواههم لخروجة الموقف ، وما كادوا يتبينون الأمر حتى علموا أن هذه الضحكة كانت إنذاراً بذهاب عقل غنيم ؛ فما خرجت من جوفه حتى كان عقله يودعه إلى الأبد .

وكان الناظر إلى القطار المسافر عقب الحادثة بأربع وعشرين ساعة يرى جنديين يمسكان بشخص يهذى ويقول :

(هوه الجهاز بتاع مبروكه جاى فى القطر ده ؟ قرب يا ابراهيم ياخويا علشان تساعدنى فى حمل العزال بتاع مبروكه مرات أخوك .

وعند ما آذن القطار بالقيام كان الرائى ـ يرى خلاف الجندين الممسكين بالمجنون ـ رجلا فى يده قيد حديدى واضعاً رأسه بين ركبتيه مجهشاً بالبكاء وهو ذاهب إلى المحاكمة، لأنه قتل إبراهيم أخا عم غنيم خولى الزراعة . ؟

السيد حسن طه